((الابعاد الفلسفية للفكر الجغرافي))

الدكتور كمل عبد حسن ، المدرس في قسم الجغرافية
كلية الاداب – جامعة الأنبار

المقدمه :

رغم التقدم الكبير الذي شهدته مختلف العلوم في مجال تخصصاتها ، وما وصلت اليه في محتوياتها وأهدافها ،
والطرق المستخدمة في تحليل مادتها . نجد أن الجغرافية وبالرغم من علاقتها وارتباطها الوثيق بهذه العلوم ،
ورغم أنّها مرت بما مرت به العلوم الاخرى من مراحل تطورية . بل انها سبقتها بأعتبار أن اول شيء لستشعره
الانسان هو الحاسة الجغرافية . الا انها عانت وما زالت تعاني ويعاني معها المتخصصون فيها ، من عدم وضوح مادتها او طبيعتها . اذ يُثار سؤال دائم حول طبيعة المعرفة الجغرافية ، هل الجغرافية علم ؟ . وما مادتها التي تتناولها ؟ . فهي ترتبط مع بقية العلوم في مادتها الدراسية . وهنا يعاب على الجغرافية في ذلك . ويثار سؤال اخر ، اذا كانت الجغرافية برمتها تتهم بعدم الوضوح فكيف بالرديف الثاني الا وهو الفكر الجغرافي . الذي يعاني هو الاخر من عدم وضوحه لدى اغلب المختصين في هذا الحقل . فقد مر بمراحل تطورية عدة ، نُظر اليه فيها من زوايا عده ، وعُرف بها في ضوئها . وبالتالي شكل هذا صعوبة ما زالت قائمة و تستدعي الالتفات اليها . ومن هنا جاءت هذه الدراسة في محاولة لسبر غور هذا الغموض و محاولة ايجاد طريق نير الى هذا الحقل المهم .

مشكلة الدراسة :

تكمن مشكلة هذه الدراسة في سؤالين محددين هما :

١- ما مدى علاقة الفكر الجغرافي بالجغرافية ؟
٢- ما هو مدى قبول او رفض الفكر الجغرافي لدى المختصين بهذا الحقل ؟

فرضية الدراسة :

ان عدم وضوح مادة الفكر الجغرافي وعلاقته بالجغرافية قاد الى رفض هذا التخصص .

هدف الدراسة :

تهدف الدراسة الى ايضاح مادة الفكر الجغرافي وما يتعلق بها من غموض ، وايجاد العلاقة بينها وبين الجغرافية . وبالتالي درجة قبولها او رفضها من قبل المتخصصين في هذا الحقل .

منهجية الدراسة :

اعتمدت الدراسة على الجانب النظري لغرض تأصيل بعض المفاهيم الخاصة بهذا الحقل . كما أُعتمد اسلوب الاستبيان (Questionnaires) على عينة من المجتمع المدروس .

أولاً : الجانب النظري :

١- تعريف الجغرافية والفكر الجغرافي :

ان صياغة تعريف محدد للجغرافيا يضعها بين العلوم (التجريبية والانسانية) ليس بالامر الهين . ولعل السبب هو كثرة التعريفات الخاصة بها . او بسبب الصعوبة التي تعيقها كونها علماً لا يمكن دراسته بمعزل عن العلوم الاخرى .فبينما يرى بعض الجغرافيين ان تداخل الجغرافية مع باقي العلوم يعطيها قوةً معرفيةً وبالتالي شخصية واضحة ، يرى اخرون ان ذلك يقلل من أهميتها العلمية ويجعلها عديمة الشخصية ولا ترتكز على أُسس علمية خاصة بها ، وأنها مادة معرفية تصلح لشحن ذهن المتلقي بأفكار جاهزه . ويمكن ادراك حجم هذه الصعوبة بمجرد محاولة تعريفها . فحين اراد روجر منشل (R.Minshull) في أواخر الستينيات أن يحصر التعريفات التي صيغت بها الجغرافية وجد ما يربو على اثني عشرة تعريفاً ، وهذا يدل على عدم وجود حدود واضحة وصارمة لمجال العلم ، وعدم وضوح او عدم الاتفاق على غايات العلم وهدفه ومن ثم مكانته بين العلوم .([1]) فقد تنوعت تعريفات هذا الحقل بحسب وجهات نظر الباحثين والاختصاصات التي ينتمون اليها ، خاصّة ونحن نعلم أن معظم الذين ساهموا في تطور حقل الجغرافية هم ليسوا جغرافيين بالاصل . ولعل من أشمل التعريفات المناسبة للجغرافية هو التعريف الذي يرى ((أنها العلم الذي يهتم بدراسة وتحليل سطح الارض واكتشاف مميزاته وتبايناته المكانية وتطوراته ، وادراك العلاقات المتبادلة والأنماط التي يتخذها توزيع ظواهره الطبيعية والبشرية ، لأظهار امكانية افادة الانسان منها ، اما مباشرةً بما يقدمه هذا العلم من مقترحات تكون اساساً لخطوات عملية ، او بصورة غير مباشرة وذلك بما يساهم به من استنتاجات تساعد على بناء مفاهيم ونظريات علمية)).([2])

أما تعريف الفكر الجغرافي فأنه يقودنا الى صعوبة اكبر من تعريف الجغرافية والسبب هو عدم وجود تعريف خاص به . فقد نظر اليه من عدة زوايا ، رافقت تطور هذا الحقل المعرفي . فضلاً عن ارتباطه الوثيق بالجغرافية . فنجد أن كثيراً من الباحثين لايميز بين الاثنين في كتاباته . وهذا قاد الى زيادة التعقيد في هذا الحقل . وبدوره أدّى الى النفور من الفكر الجغرافي وبالتالي رفضه من اغلب الباحثين . واذا ما اردنا تعريف الفكر الجغرافي فانّا نُعرّفه بأنّهُ ((المساهمات والمنجزات الفكرية والفلسفية التي قدمها علماء وأساطين الجغرافية عبر العصور المختلفة في دراساتهم عن الارض والسماء وما بينهما والتي قادت الى تشكيل حقل الجغرافية)) .

٢- العلاقة بين الجغرافية والفكر الجغرافي :

من الصعوبة بمكان محاولة ايجاد فوارق ما بين الجغرافية والفكر الجغرافي ، وهذا عائد الى العلاقة الوثيقة التي تربط بين الاثنين ، فهما كوجهي العملة الواحدة ، بل انّ كل منهما يقود الى الثاني ويتداخل معه . ومن اجل تحديد جوهر العلاقة الحقيقة بين الجغرافية والفكر الجغرافي نذكر ان الفكر الجغرافي هو جغرافية بالقوة . ولن

---

[1] - عادل معتمد عبد الحميد ، المحيط الجغرافي والطبيعي ، بحث على الانترنيت ، ص ٣. www.Islam on line.net .

[2] - عبدالرزاق عباس حسين ، الاطار النظري للجغرافية ، مطبعة الايمان ، بغداد ، ١٩٧٠ ،ص –ص ٧-٨ .

الجغرافية هي فكر جغرافي بالفعل . بمعنى ان علم الجغرافية يمثل الاجتهاد العلمي الذي يتولى مهمة التعبير عن الفكر الجغرافي وتحقيق اهدافه . ([3])

٣- الفكر الجغرافي (استشعار ظاهرة) :

_ لعل من اولى اللبوس التي ارتداها الفكر الجغرافي عبر مراحل تطوره هو استشعار الظواهر . فالانسان بطبعه ومنذ بداياته الاولى اطلق العنان لنفسه للقيام بمسح للظواهر المحيطة به يدفعه الى ذلك اولاً الفضول عن العلاقات المكانية ، وهو نقطة البدء ، رغم ان ذلك في حد ذاته لايمكن اعتباره جغرافياً . فلكي تكون الجغرافية علماً لابد وان تكون مادة الفكر الجغرافي من اختصاص رجال العلم لكي يتساءلوا بادراك ويجيبوا على هذه الاستفسارات .([4]) وثانياً سعيه الحثيث من اجل ايجاد الغذاء لضمان بقائه في المقام الاول وتأمين الحماية لنفسه في المقام الثاني . ومحاولة التعرف على ما يكتنف بيئته من ظاهرات حتى يستطيع ان يستشعر الطمأنينة وتلمس الاسباب للاستفادة من موارد الطبيعة يقوده لذلك حب الاستطلاع الذي دفعه الى التجول في الرقعة المحيطة به والتي يمكنه الوصول اليها بامكاناته المحدوده ([5]) .
وهذا التفكير لم يكن ينضوي تحت نمط محدد او صيغة اوهدف معد له مسبقاً . وانما هو استجابة لحاجة الانسان . اي انه كان يمتاز بالعفوية ، لذلك أُطلق عليه بالفكر الجغرافي العفوي . وقد لازم الفكر الجغرافي في هذه المرحلة مجموعة من المفاهيم الجغرافية التي تقوم على الملاحظة و الوصف ، وهي بالتالي من المفاهيم المحسوسة مثل الظواهر و الأشكال الطبيعية والبشرية القابلة للملاحظة والمشاهدة العينية ، هذه الفئة من المفاهيم استمرت في تطورها مع التطورات عبر الحضارات القديمة . ([6])

٤-الفكر الجغرافي (تطور حضاري) :

بعد التطور الذي حصل للانسان ، وانتقاله من المجتمعات البدائية في العصر الحجري وعصر لمعادن . دخل الفكر الجغرافي مرحلة جديدة طبعته بسمات عدة. فنُظر اليه بانه التطور الحضاري للامم والشعوب القديمة التي كانت تمثل مراكز الحضارة على وجه المعمورة . وهذه المراكز الحضارية شملت الحضارات العراقية والمصرية والصينية واليونانية والرومانية والهندية والفينيقية والفارسية . وقد اختلفت هذه الحضارات في بيئتها التي نشأت فيها وعمر كل منها . الا انها تشابهت في مجموعة متعددة من جوانب المعرفة الجغرافية وهي .([7])

- خلق الأرض .

---

[3] - صلاح الدين الشامي ، الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة ، ط٢، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٩٨ ،ص ٤١٠ .
[4] - محمد عبدالرحمن الشرنوبي ، البحث الجغرافي ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٧ ، ص٢٢ .
[5] - جمال الدين الديناصوري ، الجغرافية التطبيقية –طرق التطبيق وانجازاته ، مكتبة الانجلو المصريه ،المطبعة الفنية الحديثة ، ١٩٧١ ،ص ٥ ص٦ .
[6] - عبدالله العبودي ، الجغرافيا بين المفهوم والمصطلح ، بحث على الانترنت ، ٢٠٠٤ ، ص٢ .
[7] - صبري فارس الهيتي وابراهيم المشهداني وسعدي السعدي ، الفكر الجغرافي وطرق البحث ، مطبعة جامعة الموصل ، ١٩٨٥ ، ص١٤ ص١٥ .

- قياس المسافات .
- قياس الزمن .
- رسم الخرائط .
- معرفة وتحديد الاتجاهات .

وقد اختلفت مساهمة كل حضارة في هذه الامور وبدرجات متفاوتة. وذلك بحسب موقع كل حضارة من خريطة العالم ، وحسب المنطقة التي نشأت وتطورت فيها وما توفر لها من مقومات الازدهار او معوقات ومحددات النمو . فاختلفت هذه الحضارات بين داخلية واخرى خارجية ، سهلية وجبلية ، قارية وبحرية . وكان ما انتجته هذه الحضارات هو بداية التفكير الجغرافي والرياضي العلمي الحقيقي ، فما زلنا الى يومنا هذا نستعمل بعضاً من نتاجات هذه الحضارات ، فتقسيم الدائرة مثلاً الى (٣٦٠) جزءاً معتمداً على الارقام العشرية كانت بداياته عند البابليين واتِباعهم الطريقة الاثني عشرية . او تقسيم الدرجة الى ستين دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية . والتقسيم السباعي لأيام الاسبوع وتقسيم دائرة البروج الى أثني عشرَ قسماً والتقويمين الشمسي والقمري .([8])وغيرها من منجزات الحضارات القديمة .
ان دراسة التفكير العلمي لهذه الحضارات قد شغل الفكر الجغرافي لفترات طويلة ، بل نُظر اليه على أنه هو الفكر الجغرافي . ولعل السبب هو طول المدة التي استغرقتها هذه الحضارات ، فضلاً عن كونها الاساس الذي نمت في حضنه الجغرافية بشقيها الفلكي الرياضي والوصفي ، فكان نتاج هذه الحضارات هو تطور معرفي أفضى الى تقدم علمي مفهومي في حقول عدة و منها الجغرافية والفكر الجغرافي ، ثم ما لبثت أن ورثت هذه التركة حضارة أحدث زمنياً كان لها الفضل في تأصيل التفكير العلمي وبلورة الهدف . فجاءت الحضارة العربية الاسلامية بما ورثته من الحضارات القديمة وما تهيأ لها من اساس معرفي سبق العصر الاسلامي . لتقوم بعبء النهوض والتطور وحمل شعلة الفكر العلمي لتضعه على اساسه الصحيح ولمدة ستةِ قرون هجرية أضافت فيها الى المعرفة العامة والجغرافية ما اضافته من أسباب هيأت في القرنيين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين لفتح علمي جديد في الجغرافية وعلوم اخرى أثمرت بالنهضة الأوربية وبدء عصر الاستكشافات .

٥- الفكر الجغرافي (كشف جغرافي) :

في الحقيقة ان مرحلة الكشوف الجغرافية هي مرحلة متشعبة . فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمراحل السابقة واللاحقة التي مر بها الفكر الجغرافي ، فقد كانت الحركة والانتقال والكشف الجغرافي حاضرين منذ بدء استشعار الظواهر وفي مرحلة الحضارات بأجمعها . فضلاً عن ارتباطها الوثيق بالجغرافية التأريخية (المرحلة اللاحقة) . ولعل أصدق دليل على ذلك هو ان الكشوف الجغرافية ((ما هي الا دراسة المجهودات الجغرافية المختلفة التي بذلت خلال العصور التأريخية لأكتشاف أجزاء جديدة من المعمورة ، والتي ساعدت على تطور خريطة العالم

---

[8] - أحمد سوسة ، الشريف الادريسي في الجغرافية العربية ، ج١ ، نقابة المهندسين العراقيين ،مكتبة صبري ، ١٩٧٤ ، ص٣٤ .

حتى ظهرت لنا في وقتنا الحاضر بصورةٍ مكتملةٍ وناضجة)) .([9]) وهذا الارتباط مرده الى ان الكشوف الجغرافية بحاجة الى من يقوم بها . وهنا يبدو جلياً دور الحضارات القديمة كما أسلفنا . واما أرتباطها بالجغرافية التأريخية ، فمرده الى ان كليهما تشترك بمجال البحث ، فبينما الجغرافية التأريخية تشير الى جغرافية الماضي ، نجد أن الكشوف الجغرافية تحاول بناء حقائق جغرافية على وثائق تأريخية .([10]) لقد امتدت هذه المرحلة لفترة طويلة نُظر فيها الى الفكر الجغرافي على انه متعلق بالكشوف الجغرافية ، او انه هو الكشوف الجغرافية وزيادة المعرفة الجغرافية عن الارض والسماء وما بينهما . فامتدت هذه المرحلة لستة قرون ، منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبدايات القرن العشرين .وهذه الفترة تشمل العصور الوسطى التي امتازت بنشاط الفكر الجغرافي العربي الأسلامي واندثار التفكير الجغرافي في العالم المسيحي ، وحدوث الحروب الصليبية ،كما تشمل الكشوف الجغرافية الكبرى في عصر النهضة والدور الذي لعبه كل من الاسبان والبرتغال في تطور الحركة الكشفية ، باكتشاف الأمريكيتين وطريق رأس الرجاء الصالح ومضيق ماجلان والدوران حول الكرة الارضية من الغرب ، فضلاً عن الدور البريطاني الذي تمثل برحلات جيمس كوك واكتشاف البحار الجنوبية وقارة استراليا والجزر المحيطة بها وما تبعه من اكتشافٍ للقارتينِ القطبيتينِ الشمالية والجنوبية ، فضلاً عن اكتشاف داخلية القارات . وما أفضى اليه ذلك من حركة نهضوية في كافة مجالات الاكتشافات البرية والبحرية وما رافقه من تطور كارتوغرافي لخريطة العالم .([11]) غير ان هذا النشاط الكشفي كان ثمرة الرحلة بكافة انواعها وهي تسعى لتوسيع دائرة الرؤية الجغرافية لحساب الكشف الجغرافي على المستوى الافقي ، وكان لابد لهذه الرحلة ان تتوقف لكي تؤدي الرحلة الجغرافية المتخصصة دورها الوظيفي في تعميق الرؤية الجغرافية تعميقاً رأسياً ، بقصد البحث الجغرافي .

وكان هذا استجابة لأمرين هامين ([12]):

أ- حاجة العصر الذي انكب فيه التفكير الجغرافي في أطار المنهجية العلمية على التأمل والتدبر في الظاهرة الجغرافية ،من اجل التحليل وادراك العلاقات .

ب- التطلعات الرأسمالية للتفتح الأوربي الحديث وحاجته الى تكثيف وتنشيط الاستيطان .

٦- **الفكر الجغرافي (جغرافية تاريخية) :**

[9] - يسري الجوهري ، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية ، ط٢٥، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٩٨ ، ص١٣ .

[10] - ريتشارد هارتشورن ، طبيعة الجغرافية ، ترجمة شاكر خصباك ، ج١ ، مطبعة جامعة الموصل ، ١٩٨٤ ، ص٢٨٣ .

[11] - يسري الجوهري ، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية ، مصدر سابق ، ص١٥ .

[12] - صلاح الدين الشامي ، الرحلة عين الجغرافية المبصرة في الدراسة الميدانية ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ ،ص١٧٠ ص١٧١ .

إن هذه المرحلة لم تأت منفصلة ، بل انها جاءت متداخلة مع جميع المراحل التي مر بها الفكر الجغرافي والسبب في ذلك ان الجغرافية التأريخية تشترك مع الفكر بأن كليهما يُعنى بالماضي والفترات الزمنية المتلاحقة . وهذا قاد الى نوع من التعقيد والصعوبة في الفصل بينهما . فطوال القرن التاسع عشر كانت الجغرافية التأريخية تستحوذ على الكتابات المنهجية والنقاشات ما بين الجغرافيين . فتعددت التعريفات الخاصة بها ، فيعرفها فاوست (Fawcett) ((بأنها ذلك الجزء الأساسي من الجغرافية الذي نتناول فيه دراسة تأثيرات الحوادث التأريخية على الحقائق الجغرافية)) ، اما البروفسور تايلور فيعرفها ((دراسة جغرافية ما قبل التأريخ او دراسة جغرافية لأية فترة تأريخية اخرى تحتوي ادلة تأريخية)) . في حين ان البروفسور جلبرت (F.W.Gillbert) يرى ان هناك خمسة تعاريف للجغرافية التأريخية ،الأول يتضمن دراسة تاريخ الجغرافية كعلم ، والثاني يتناول دراسة تاريخ الكشوف الجغرافية ، والثالث يتعرض لتغير الحدود السياسية بين الدول ، والرابع يشير الى تأثير البيئة الجغرافية على مجرى الحوادث التأريخية ، اما التعريف الخامس والذي يمثل التعريف الصحيح للجغرافية التأريخية فهو يمثل دراسة اية منطقة دراسة اقليمية في فترة زمنية ماضية .(١٣)

وعلى اعتبار ان الفكر الجغرافي يمثل الجغرافية ، وان الجغرافية التأريخية هي علاقة مابين الجغرافية والتأريخ ، لذلك يتخوف معظم الجغرافيين من الذهاب نحو العنصر التأريخي اكثر منه من العنصر الجغرافي وبالتالي الشك في جغرافية ما يكتب . وهذا قاد وتيلسي عام (١٩٤٥) لوضع طريقتين اساسيتين لتجنب هذه المشكلة ، الاولى أن يتم التخلي عن فكرة تجديد الجغرافية القديمة والأهتمام فقط بمظاهر العمران السابقة والتي تترك وراءها اثاراً تدل عليها ، وهذا قاد الى ظهور نظرية الأعمار المتتالي ، والثانية هي الابتعاد عن التحليل باستخدام الماضي البعيد ، وأنما أن نبدأ بالحاضر القريب الا اذا استدعت الضرورة ان نتحول الى الماضي مع أختصار الوصف التأريخي على معالم الأرض التي تخلفت عن الماضي .(١٤)

ولحل هذه الاشكالية فقد تناولها هارتشورن بالتفصيل في كتابة طبيعة الجغرافية وتوصل الى نتيجة مؤداها ، أنه بما أن الجغرافية (تشير الى قطاع) خلال الحاضر حينما تستخدم بدون قيود فإنّ بوسعنا أن نستخدم مصطلح الجغرافية التأريخية لمقطع مماثل بالضبط خلال اي نقطة غابرة من الزمن وبالتالي فان الجغرافية التاريخية هي ليست فرعاً من الجغرافية البشرية ، كما انها ليست جغرافية التأريخ ، وليست تأريخ الجغرافية ، انها جغرافية أخرى كاملة بحد ذاتها بجميع فروعها .(١٥) وهي بهذا لاتمثل الفكر الجغرافي بقدر ما أنها تطورت معه .

٧- **الفكر الجغرافية (جغرافية طبيعية وبشرية وأقليمية)** :

في هذه المرحلة أعتبر أن الفكر الجغرافي يمثل الجغرافية باقسامها الطبيعية والبشرية والأقليمية . وكانت بدايات هذه المرحلة كما يشير معظم الباحثين في

---

١٣ - يسري الجوهري و ناريمان درويش ، مقالات في الجغرافية التأريخية ، مؤسسة شباب الجامعة ، بدون تأريخ ، ص٧

١٤ - ه. داربي ، العلاقة بين الجغرافية والتاريخ ، المحرر جريفث تايلور ، الجغرافية في القرن العشرين ، ترجمة محمد السيد غلاب و مرسي ابو الليل ، ج١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص٤٢٣-٤٢٤ .

١٥ - ريتشارد هارتشورن ، طبيعة الجغرافية ، مصدر سابق ، ص٢٨٢ .

كتاباتهم الجغرافية تعود الى عام (١٦٥٠م) حينما أصدر برنارد فارينوس كتابه المعنون (الجغرافية العامة) والذي ميّز فيه بين الجغرافية العامة والجغرافية الأقليمية .([١٦]) الى اننا نؤكد وبكل ثقة ان عدداً كبيراً من الجغرافيين العرب قد سبقوا فارينوس الى هذا التمييز في كتاباتهم ومنهم اليعقوبي والمقدسي وغيرهم .([١٧]) وطوال المدة من القرن السادس عشر وحتى نهايات القرن التاسع عشر الميلادي مرت الجغرافية بتغيرات وتبدلات عدةٍ تنازعت فيها اقسام الجغرافية (الطبيعية والبشرية والأقليمية والجغرافية التأريخية) الأهمية في الكتابات الجغرافية والتنظيرات المنهجية . فسادت الجغرافية الطبيعية حيناً من الزمن ، أعقبتها في الأهميةِ الجغرافية البشرية . ثم ما لبثت أن ركزت أغلب الكتابات على الجغرافية الأقليمية باعتبارها هي هدف الجغرافية وروحها . وقد كان الفكر الجغرافي الحديث يسجل كل ذلك ، فكان منه في النصف الأول من القرن العشرين أن بارك انقسام الجغرافية الحديثة الى قسمين متكافئين متكاملين (الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية) فبدون هذين القسمين تكون الجغرافية غير واقعية وغير متكاملة .([١٨]) لقد تمخض عن هذا التطور في الفكر الجغرافي الحديث أن استُخدم الأقليم أفضلُ استخدام لتحقيق أكثر من هدف وذلك باستخدام منهج جغرافي رائع تمثل بأجراء دراسة جغرافية مكثفة ، في حيز المكان ، دراسة متكاملة بشقيها الطبيعي والبشري ، افضت الى التعميم . وذلك باطلاق تقسيمات للعالم على شكل أقاليم ، او وحدات جغرافية متفردة او متميزة ، كلٌ حسب صنعتهُ وسمته . غير ان هذا الهدف لم يكن ليتحقق لولا وجود خلفية ثرية بقواعد الجغرافية الطبيعية والبشرية تمثلت باسلوب اخر من أساليب العمل الجغرافي ، وذلك بدراسة التطور على المدى الطويل في الحيز المكاني ، وهو جغرافية الماضي او الجغرافية التأريخية .

٨- الفكر الجغرافي والجغرافية المعاصرة :

ان الاجتهاد الجغرافي عبر هذه المراحل الطويلة كان من نتيجته ان تطورت الجغرافية في فروعها ووسائلها وأسلوب دراستها . فكان أن تم التركيز على وسيلتين مهمتين في الجغرافية هما الخريطة و الدراسة الميدانية . فبدونهما او بدون أحدهما لا تتم الجغرافية بل وتعد ناقصة . ثم كان أن ركز الفكر الجغرافي الحديث على تطوير أساليب الدراسة الجغرافية ، فاستخدم الربط والتعليل والتحليل بين لظواهر المختلفة والمتشابهة على حد سواء . فكان ذلك بدايةً لفكرٍ جغرافيٍ معاصر ، طالب بالتغيير والتجديد في الجغرافية ، فتم التأكيد على التجديدِ في الاداء الجغرافي بادخال نظم المعلومات الجغرافية (GIS) واستخدام الاقمار الصناعية والصور الجوية في الدراسة .

كما تم التأكيد على التجويد في العمل الجغرافي وهذا ادى الى اعادة النظر في الجغرافية وأقسامها وفروعها ، فتمّ الغاء الجغرافية الأجتماعية وجغرافية السلالات

---

[١٦] - R.E.Dickinson , Regional Concept , The Anglo-American Leaders , Routledge And KeganPaulLondon,1976,P.151 .

[١٧] - كمال عبدالله حسن ، أصالة الجغرافية الأقليمية عند المقدسي ، اطروحة دكتوراة ، غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٦ ، ص٤٥-٤٦ .

[١٨] - صلاح الدين الشامي ، الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة ، مصدر سابق ، ص ٤١٢- ٤١٣ .

اذ لم تعد تحظى بما كان لها من تأثير .([19]) كما ان الجغرافية المعاصرة قد ركزت على الجانب البشري أكثر من الطبيعي ، وكان هذا أدعى الى التركيز على سطح الأرض واستخدام التخطيط الأقليمي المنظم . كما حدث تطور في محتوى الجغرافية ومفهومها فتوسعت الدراسة لتشمل ظاهرات جغرافية لم تكن قد أُدخلت ضمن العمل الجغرافي ، كما توسعت الدراسة بالاتجاه العمودي ، وذلك بالتركيز على دراسة الكون والمجرات والاجرام السماوية الأخرى . وما زالت الجغرافية تواكب التطور الحضاري للانسان وما ينتج عنه ، وهي بذلك تطاوع الانسان وتحاول أن تقدم له ما أمكنها من خدمات وهذا يعني اجتهاد جغرافي اخر يضاف الى الاجتهاد الجغرافي للفكر الجغرافي الحديث .

ثانياً : الجانب العملي :

مع التأكيد على الجانب العملي في الجغرافية ، واستخلاص النتائج من الميدان مباشرةً ، لذلك قام الباحث باجراء دراسة ميدانية لغرض التعرف على أهمية مادة الفكر الجغرافي في أقسام الجغرافية . إذ تم عمل استمارة استبيان (ملحق ١) ، طُرح فيها مجموعة من الأسئلة التي تخص موضوع البحث . وتم توزيع هذه الاستمارة على مجاميع مختلفة في المستويات العلمية (البكالوريوس ، الماجستير ، الدكتوراة) لاغراض التنوع الفكري والعلمي ، وبواقع تسعة مجاميع من جامعتي بغداد و الأنبار في كليتي الأداب والتربية ، اذ تم توزيع (٢٠٠) استمارة لكل المجاميع . وتبين من نتائج الأجابات على الأسئلة وباستخدام أسلوب النسب المئوية الأتي : (جدول ١)

١. أنّ مادة الفكر الجغرافي مادة مهمة وضرورية . اذ ان ٩٤% من الاجابات كانت مع أهمية هذه المادة .
٢. أنّ ٦٤ % من الاجابات تعد هذه المادة أساسيةً قياساً الى المقررات الأخرى .
٣. أنّ ٨١ % من الاجابات كانت مع عدم الغاء مادة الفكر الجغرافي ، في حين ان النسبة المتبقية وهي ١٩ % قد أيّدت الغاء المادة . وهذه النسبة كانت لدى طلبة البكالوريوس تحديداً ، والسبب هو عدم فهم المادة . كما أنّ ٣٦ % عدتها مادة غير أساسية وللسبب نفسه .
٤. أنّ ٧٥ % من الأجابات تؤيد بأن مادة الفكر الجغرافي تحتاج الى تدريسي متخصص في الفكر الجغرافي .
٥. التأكيد على أنّ تدريس مادة الفكر الجغرافي في مرحلة واحدة لطلبة البكالوريس غير كافٍ . اذ كانت نسبة ٥٢% من الأجابات تؤيد ذلك . كما أنّ ٦٥% من الاجابات كانت تؤيد ان تدّرس المادة لأكثر من مرحلة .

---
[19] - المصدر نفسه ، ص٥٠٦ .

٦. لأهمية هذه المادة لطالب الجغرافية تبين من الاستبيان أنّ ٧٩ % من الاجابات تؤيد تدريس هذه الماده لطلبة الدراسات العليا وعدها من المقررات الأساسية . وهذا لما لها من دور مهم في اعداد طالب الدراسات العليا باثراء خلفيته المعرفية حول الجغرافية موضوع التخصص والفكر الجغرافي العام .

٧. تبين من خلال الاستبيان أن هناك خللاً في الفهم ، وذلك من خلال الاسئلة الاختبارية التي وضعها الباحث (السؤالين الأول والرابع مثلاً) . فرغم أن الاجابة عن السؤالين كانت بنسبة ٨٢ % و٥٣ % على التوالي الا ان الاجابات الاخرى تؤشر ارباكاً وقصوراً في الفهم . فكانت نسبة ١٦% تؤيد بأن الجغرافية علم كمي و٢% تؤيد بأنّها علم وصفي . وكذلك الحال بالنسبة للسؤال الرابع فكانت ١٣ %تؤيد بأنّ الفكر الجغرافي هو جغرافية طبيعية في حين أنّ ٣٥ % تضعه مع الجغرافية البشرية .

٨. اتضح من خلال الاستبيان أنّ مستوى المعلومات عن الفكر الجغرافي لدى مجموع العينة متأرجح ما بين ضعيف بنسبة ٧% وضعيف جداً بنسبة ٥% وجيد بنسبة ٢٧ % وجيد جداً بنسبة ٤% في حين احتلت متوسط أعلى النسب وبواقع ٥٦% .

٩. أنّ ٧٢% من الاجابات كانت مع اضافة مادة أخرى تعنى بالفكر الجغرافي الاسلامي والجغرافيين العرب .

١٠. تبين للباحث أن هناك انجذاب نحو المسميات . فبمجرد ذكر نظام المعلومات الجغرافي (GIS) نجد أن ٢٨% ايدت كونه أهم لطالب الدراسات العليا من الفكر الجغرافي الذي حصل على نسبة ١٠% فقط . مع أنّ الأول وسيلة لبلوغ غاية ، والثاني هو الغاية بعينها . في حين أنّ ٦٩% أكدوا على ضرورة كليهما لطالب الدراسات العليا .

الأستنتاجات والتوصيات : من كل ماسبق نستنتج الأتي .

١) انّ الفكر الجغرافي مرّ بمراحل عدة ، نُظر اليه فيها من عدة زوايا . وهذا قاد الى التشعب .
٢) اختلفت المراحل التي مر بها الفكر الجغرافي في مادتها وعمرها . وهذا ناتج عن طبيعة المراحل التي مرّ بها .
٣) انّ العلاقة ما بين الفكر الجغرافي والجغرافية هي علاقة وثيقة ، وهي علاقة طردية .
٤) هناك قبولٌ واسعٌ لمادة الفكر الجغرافي، مع نسبةٍ ضئيلة من المعارضين ولأسباب متعددة اختلفت ما بين الجهل بالمادة او عدم وضوحها .

وبناءً على ذلك يوصي الباحث بالآتي :

١) ضرورة اعطاء أهمية أكبر لمادة الفكر الجغرافي ، ومحاولة ايجاد تعريف محدد لها .
٢) وضع مفردات أساسية لمادة الفكر الجغرافي لا تسبب ارباكاً للطالب ، فدراسة جميع المراحل التي مرّ بها الفكر الجغرافي في مرحلة دراسية واحدة ليس بالأمر الهين .
٣) اضافة مادة ثانية تهتم بالفكر الجغرافي الاسلامي والجغرافيين العرب ، تدّرس في مرحلة دراسية ثانية بقصد اطلاع الطالب على التراث الاسلامي العريق أولاً والتخفيف عن كاهل الطالب من دراستها مع الفكر الجغرافي في مرحلة دراسية واحدة ثانية .

جدول (١)
النسب المئوية للأجابات على الأسئلة الواردة في الأستبيان

الفقرة	الأجابة	النسبة المئوية %
١	كمي	١٦
	وصفي	٢
	كلاهما	٨٢
٢	غير مهم	٦
	ضروري	٣٦
	مهم	٥١
	مهم جداً	٧
٣	ضعيف	٧
	ضعيف جداً	٥
	متوسط	٥٦
	جيد	٢٧
	جيد جداً	٤
٤	طبيعية	١٣
	بشرية	٣٥
	كلاهما	٥٣
٥	أساسية	٦٤
	غير أساسية	٣٦
٦	نعم	١٩
	كلا	٨١
٧	نعم	٧٥
	كلا	٢٥
٨	نعم	٤٨
	كلا	٥٢
٩	الأولى	١٢
	الثانية	٢
	الثالثة	١٧
	الرابعة	٥٠
	الماجستير	١٦
	الدكتوراة	٣
١٠	نعم	٣٥
	كلا	٦٥
١١	نعم	٧٢
	كلا	٢٨
١٢	نعم	٧٩
	كلا	٢١
١٣	فكر جغرافي	١٠
	GIS	٢٨
	كلاهما	٦٢

المصدر : عمل الباحث بالأعتماد على أستمارة الأستبيان

قائمة المصادر :

١) الجوهري ، يسري ، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية ، **ط٢٥، منشأة المعارف** ، الأسكندرية، **١٩٨٨.**

٢) ________ وناريمان درويش ، مقالات في الجغرافية التأريخية ، مؤسسة شباب الجامعة ، بدون تأريخ .

٣) حسن ، كمال عبدالله ، أصالة الجغرافية الأقليمية عند المقدسي ، أطروحة دكتوراة ، غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠٠٦ .

٤) حسين ، عبد الرزاق عباس ، الأطار النظري للجغرافية ، مطبعة الأيمان ، بغداد ، ١٩٧٠ .

٥) داربي ، ه ، العلاقة بين الجغرافية والتأريخ ، (المحرر) جريفت تايلور ، الجغرافية في القرن العشرين ، ترجمة محمد السيد غلاب ومرسي ابو الليل ، ج١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ .

٦) الديناصوري ، جمال الدين ، الجغرافية التطبيقية _ طرق التطبيق وانجازاته ، مكتبة الأنجلو المصرية ، المطبعة الفنية الحديثة ، ١٩٧١ .

٧) سوسة ، أحمد ، الشريف الأدريسي في الجغرافية العربية ، ج١ ، نقابة المهندسين العراقيين ، مكتبة صبري ، ١٩٧٤ .

٨) الشامي ، صلاح الدين ، الرحلة عين الجغرافية المبصرة في الدراسة الميدانية ، منشأة المعارف ، الأسكندرية ، ١٩٨٢ .

٩) ________ ، الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة ، ط٢ ، منشأة المعارف ، الأسكندرية ، ١٩٩٨ .

١٠) الشرنوبي ، محمد عبدالرحمن ، البحث الجغرافي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٧ .

١١) عبد الحميد ، عادل معتمد ، المحيط الجغرافي والطبيعي ، بحث منشور على الأنترنت ، ٢٠٠٣ .

١٢) العبودي ، عبد ، الجغرافية بين المفهوم والمصطلح ، بحث منشور على الأنترنت ، ٢٠٠٤ .

١٣) هارتشورن ، ريتشارد ، طبيعة الجغرافية ، ترجمة شاكر خصباك ، ج١ ، مطبعة جامعة الموصل ، ١٩٨٤ .

١٤) الهيتي ، صبري فارس وابراهيم المشهداني وسعدي السعدي ، الفكر الجغرافي وطرق البحث ، مطبعة جامعة الموصل ، ١٩٨٥ .

15- Dickinson ,R.E., Regional Concept ,The Anglo-American Leaders , Routldge And Kegan Poule ,London ,1976 .

ملحق (١)
أستمارة الأستبيان

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي الطالب _ أخي الأستاذ المحترم .
يروم الباحث اجراء دراسة عن مادة الفكر الجغرافي وأهميتها في أقسام الجغرافية . راجياً تعاونكم في الأجابة عن الأسئلة الواردة ضمن هذا الأستبيان . والله من وراء القصد .

ملاحظة / يرجى الأجابة بوضع علامة ( )

١- هل ان الجغرافية علم ؟ وصفي . كمي . كلاهما . .
٢- ما أهمية الفكر الجغرافي بالنسبة اليك ؟ غير مهم . ضروري . مهم . مهم جداً. .
٣- ما مستوى معلوماتك عن الفكر الجغرافي ؟ ضعيفة جداً. ضعيفة . متوسط . جيدة . جيدة جداً.
٤- أين تصنف الفكر الجغرافي . جغرافية طبيعية. جغرافية بشرية . كلاهما . .
٥- ما هو تقييمك لمادة الفكر الجغرافي بالنسبة للمواد الأخرى ؟ أساسية . غير أساسية . .
٦- هل انت مع الغاء مادة الفكر الجغرافي ؟ نعم . كلا . .
٧- هل تعتقد ان تدريس مادة الفكر الجغرافي بحاجة الى تخصص ؟ نعم . كلا. .
٨- هل تعتقد ان تدريس مادة الفكر الجغرافي في مرحلة واحدة كافٍ لطالب الجغرافية ؟ نعم . كلا . .
٩- في أية مرحلة من مراحل الدراسة درست مادة الفكر الجغرافي ؟ الأولى . الثانية. الثالثة. الرابعة . الماجستير. الدكتوراة. .
١٠- هل تعتقد ان تدريس مادة الفكر الجغرافي في مرحلة واحدة يستوفي جميع مراحل تطور الفكر الجغرافي ؟ نعم . كلا. .
١١- هل تؤيد اضافة مادة ثانية تختص بالفكر الجغرافي العربي والأسلامي ؟ نعم . كلا . .
١٢- هل تعتقد ان طالب الدراسات العليا (الماجستير – الدكتوراة) بحاجة لدراسة الفكر الجغرافي ؟ نعم . كلا . .
١٣- برأيك أيهما أهم لطالب الجغرافية (الدراسات العليا خاصة)؟ الفكر الجغرافي. GIS. كلاهما . .

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد مدير تحرير مجلة (   )

م/ سلامة لغوية

طالعتُ على البحث المعنون ((الأبعاد الفلسفية للفكر الجغرافي)) المُقدم من لدن الدكتور كمال عبدالله حسن ، فوجدتهُ يصلحُ للنشر لغوياً ، مع فائق التقدير والاحترام

أ.م.د

صفاء علي حسين

كلية الآداب/ قسم اللغة العربية